مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد 07 / العـــدد: 04(ديسمبر 2023)، ص 441-448.

رواد النهضة الجزائرية "امحمد بن رحال 1858–1928م" "أنموذجا"

Pioneers of the Algerian Renaissance "Mohamed bin Rahal 1858-1928 AD" "a model"

د – الحواس غربي*
جامعة 8ماي 1945 قالمة (الجزائر)
gharbi.elhaouas@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/29 تاريخ القبول: 2023/02/21

الملخص:

منذ ان وطأة اقدام المستعمر الفرنسي ارض الجزائر، ظهرت شخصيات وطنية تدافع عن الهوية الجزائرية ومناهضة للاستعمار الفرنسي، ومع نهاية القرن 19م ظهرت فئة وضعت بصمتها الوطنية وكانت المحطة التي تنطلق منها النهضة الجزائرية ومن ثم المقاومة السياسية والثورية، ويعتبر امحمد بن رحال أحد هذه الشخصيات التي أرست مع مطلع القرن 20م قواعد الفكر السياسي الوطني النهضوي بالنسبة للجزائر المعاصرة، وتابعت مسيرته فئة نخبوية وطنية اخرى لعبت دورها في مواصلة النضال. كما كان بن رحال يرى ان الاسلام لا يمنع الاستفادة والتفتح على التقدم الذي بلغه العالم الخارجي حتى ولو كانت فرنسا الاستعمارية، ويقوم بتشجيع كل نشاط وطني يهدف إلى النهوض بالبلاد والعباد.

الكلمات المفتاحية: النخبة، النهضة، الوطنية، بن رحال، الثقافة.

Abstract:

Since the footsteps of the French colonialists on the land of Algeria, patriotic personalities emerged defending the Algerian identity and opposing French colonialism, and with the end of the 19th century AD a group appeared that put its national mark and was the station from which the Algerian renaissance and then the political and revolutionary resistance began. With the beginning of the 20th century AD, it established the foundations of national renaissance political thought for contemporary Algeria, and its path was followed by another national elite group that played its role in continuing the struggle. Ben Rahal also believed that Islam does not prevent benefiting from and opening up to the progress that the outside world has reached, even if it was colonial France, and he encourages every national activity aimed at the advancement of the country and its people.

Keywords: elite, renaissance, patriotism, Ben Rahal, culture.

* د – الحواس غربي

مقدمة:

عرفت الجزائر عدد كبير من المصلحين، العلماء والمثقفين، تحملوا مهمة الدفاع عن هوية المجتمع الجزائري، التي حاول الاستعمار الفرنسي من خلال سياسته الاستيطانية، طبعها بالتخلف والجهل من خلال نشر البدع والخرافات والانحرافات، فكانت هذه المجموعة هي اللبنة الأولى لميلاد النهضة الجزائرية.

كما تركز نشاط هذه المجموعة خلال الفترة 1900-1925م لأجل دفع الحياة الثقافية في المجتمع الجزائري، ومحاولة منهم للحاظ واسترجاع الشخصية الجزائرية، فبهذا مثلت هذه المجموعة القاعدة والمحطة الأولى مطلع القرن 20م، التي قامت وارتكزت عليها المقاومة السياسية والثورية فيما بعد، ومن بين هؤلاء الرواد نذكر **محمد بن رحال** الذي كال من رجال الحركة الوطنية الأوائل.

فمن هو هذا الرجل وما دوره الوطني والنهضوي في الجزائر؟

1 – لمحة عن امحمد بن رحال:

امحمد بن حمزة بن رحال من مواليد ندرومة ب: تلمسان بتاريخ 16ماي 1858م، عاش في كنف اسرة تتميز بالعلم والسياسة، فقد كان لوالده مكانة كبيرة عند الامير عبد القادر فعينه اماما وقاضيا سنة 1839م، درس مرحلته الاولى بمسقط رأسه، ثم انتقل للعاصمة لإكمال تعليمه الثانوية، فكان اول جزائري حاز على شهادة البكالوريا سنة 1874م[1]، كما نال شهادة الليسانس في الآداب الفرنسية من جامعة السوربون سنة 1878م[2].

وبعد ان سجل امحمد بن رحال حضوره بقوة على الساحة الجزائرية والعالمية، وافته المنية في ندرومة يوم 06اكتوبر 1928م، حيث كانت جنازته عبارة عن تظاهرة كبيرة حضرها اهالي ندرومة والمسؤولين الفرنسيين[3].

يمكن القول أن شخصية مثل امحمد بن رحال جمعت بين العلم والسياسة ، وتدرج تعليمه بين الجزائر وفرنسا، ووصل الى مراحل تعليمية متقدمة في تلك الفترة الحرجة من الاستعمار الفرنسي، يجعلنا نتساؤل ونحاول التعرف على مدى فعاليته ونشاطه خدمة للمجتمع الجزائري.

2 – نشاطه:

ان امحمد بن رحال هو شخصية مزدوجة ذات ثقافة عصرية، ومحب للزوايا حيث اصبح عضو في الطريقة الدرقاوية، مثل الجزائريين في عدة محطات كمحاور للسلطة الاستعمارية، ومع مطلع القرن العشرين دخل التمثيل النيابي للدفاع عن قضايا الجزائريين، فشغل 1903م-1907م منصب معاون مسلم في المجلس العام الوهراني، وفي سنة 1920م انتخب مستشارا عاما على دائرة الرمشي، ونائبا ماليا الى غاية سنة 1925م[4].

---

1 غانم بودن، "سي امحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين"، **الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية**، قسم العلوم الاجتماعية، العدد17، جانفي 2017م، ص10.

2 عبد الحميد حاجيات، "قراءة توثيقية لمحمد بن رحال حول المطالبة بالاصلاحات 1891م"، **آفاق وأفكار**، جامعة الجزائر 2، عدد3، 2012م، ص53.

3 غانم بودن، المرجع السابق، ص 11.

4 نفسه، ص10، 11.

يظهر لنا جليا أن الدرجة العلمية التي وصل اليها امحمد بن رحال، وتعليمع العربي والديني والفرنسي، جعله يفرض نفسه، لاعتلاء بعض المناصب السياسية تجعله يفهم الادارة الفرنسية، ومنها مدافعا على مجتمعه.

3 – دوره امحمد بن رحال في مكافحة القوانين الفرنسية:

ساهمت ثقافته الواسعة واطلاعه على الثقافات الخارجية في ترقية المجتمع الجزائري، فكان لكثرة سفره دور فعال في نضج أفكاره وزرع القومية الإسلامية، وحب الوطن، كما تأكد من تراجع وتخلف وطنه أمام دول العالم، كان من الشخصيات الوطنية التي ساهمت كثيرا في تشكيل الحركة الوطنية الجزائرية، لهذا كرس نفسه لحماية وطنه وشعبه من ظلم الاستعمار، ويركز جهوده على استرجاع الهوية الجزائرية العربية الإسلامية[1].

كما استغل مكانته الاجتماعية، ومركزه الثقافي كممثل سياسي للقضية الجزائرية، و كعضو في المجلس والجمعيات المالية لوهران، فقد دافع على مجتمعه من القوانين الجائرة، وخاصة منها قانون الأهالي والمحاكم الاستثنائية وقانون التجنيد الإجباري.

فلم يدخر بن رحال جهدا لصرف نظر السلطات الفرنسية الاستعمارية عن قانون **التجنيد الاجباري**، فقد كان يبلغ شكوى مواطنيه الى مجلس معاينة الشباب المعني بعملية التجنيد بعد صدور قانون3فيفري 1912م، اعلمه فيها برفض الجزائريين لهذا القانون ومما جاء فيها:" ما طلبتموه منا ظلم ... وان اردتم جبرنا عليه فنقتل بايدينا اولادنا ونقتل انفسنا ازاء اجسادهم، لم ندع قلب دولة قوية، لكن لا طاقة في العالم تمنعنا من قتل انفسنا"[2].

كما شكل بن رحال وفدا في 14جوان سنة 1912م سافر إلى باريس طالب فيه بإلغاء قانون **التجنيد** الاجباري، أو تقديم منحة كتعويض عن هذا الإجراء، أو السماح بالهجرة إلى بلاد الشام[3]، كما عارض منذ البداية قانون التجنيد الاجباري وعمل على سحبه خوفا من التفرنس[4].

وعارض بن رحال **الإدماج** على أساس أن مستقبل الجزائريين يكون بتمسكهم بأصالتهم وهويتهم الوطنية، وذلك من خلال قوله: "هذا الشعب يواصل تمسكه بتقاليده فهو يأخذ بالأشياء الجديدة من دون أن يقطع صلته بماضيه وخصوصياته"، كما اعتبر **التجنيس** بمثابة سياسة تعسفية اكراهية للتخلي عن شريعته ودينه تقاليده، لكنه طالب بحرية الاختيار في ذلك حسب رغبة الفرد الجزائري، خاصة وان فرنسا قد تعهدت باحترامه[5].

---

1 عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، 4ج، دار الثقافة، لبنان، د ت، ج4، ص 463.

2 عبد الحميد زوزو، **الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية**، 2ج، دار هومة، الجزائر، 2012م، ج1، ص33.

3 غانم بودن، المرجع السابق، ص 12، 13.

4 عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 32.

5 عبد المجيد بن عدة، "المثقف الثائر محمد بن رحال (1857-1928)"، **حولية المؤرخ**، العدد 5، جوان 2005م، دار الكرامة للطباعة والنشر، ص 156، 157.

أن امحمد بن رحال رجل متمسك بهويته الجزائرية، من خلال رفضه للإدماج، كما انه رجل سياسي ورجل سلم من خلال مطالبته بحرية الاختيار، ورفضه لاجبارية القرارات والقوانين وتعسفها، لهذا نجد رفض قانون التجنيد الاجباري ودافع عن حثوث الجزائريين، لاختيارهم في التجنيد او أخذ تعويض مادي لاجل التجنيد.

4 – المجال السياسي:

وقد كان لـ: بن رحال بعد نظر من خلال تحليله للأوضاع السياسية في الجزائر، فقد أكد على خطأ السياسة الفرنسية التي تحلم بامتلاك نصف القارة الافريقية، وهي تهمل وتفقر الاهالي وبطريقة غير شرعية، فهو يقول ان القرن العشرين سيشهد حالتين اما سياسة فرنسة مسلمة ملائمة تدفع لتحضر اسلام غرب افريقيا من طرف فرنسا ولصالحها او كارثة مفجعة تحضر على كره منها وضدها، وهذا تنبؤ خطير على فرنسا من طرف بن رحال[1].

وهذا ما حدث في القرن العشرين من تحولات سياسية ويقظة افريقية من اجل تحسين الاوضاع والمساواة.

فقد حاول بن رحال الخوض في المجال السياسي من خلال التقريب وتوحيد الأحزاب الوطنية في جبهة وطنية يلتف حولها المجتمع الجزائري، فدعا إلى :" إقامة الوحدة بين أولئك الذين يمزق بعضهم بعضا والذي يجب عليهم توحيد جهودهم بما فيه خير المسلمين ومصلحتهم"، ويقصد المصالحة بين أعضاء حزب الجزائر الفتاة[2].

5 – المجال التعليمي:

هدف التعليم الفرنسي في الجزائر إلى القضاء على اللغة العربية وتجريد الفرد الجزائري من ثقافته ودينه، هذا الذي دفع بن رحال أن يكثف جهوده للدفاع عن دينه ولغته، فكان من أول المدافعين عن التعليم العربي، حيث اقترح جلب الاساتذة من المشرق[3].

ونظرا لأهمية التعليم عنده طالب بوجود مدرسة في كل قرية وتحت ظل كل نخلة إضافة إلى ترقية تدريس اللغة العربية، وتقديم منح للمتفوقين في المدارس الثانوية والعالية[4].

فقد كان يؤكد بأن تعميم التعليم هو الأسلوب الرئيسي للنهوض من جديد، فقال: "إن الدول الإسلامية هي متأخرة، لكن انتشار التعليم يجعلها تستعيد مكانتها في العالم"، لذلك ركز مطالبه بضرورة تعميم التدريس باللغة العربية في كامل أنحاء الوطن، ولما عرف قيمة المرأة في المجتمع، نادي بوجوب تعليم الفتاة الجزائرية[5].

---

1 ميدون عز الدين، **التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها**، دار السبيل، الجزائر، ص256، 257. انظر ايضا: عبد المجيد بن عدة، **الخطاب النهضوي في الجزائر 1925–1925م**، دكتوراه دولة، اشراف ناصر الدين سعيدوني ، جامعة الجزائر، 2004–2005م، ج1، ص58.

2 عبد المجيد بن عدة، المثقف الثائر ...، المرجع السابق، ص 156.

3 عبد الرحمان دويب، **الاعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي 1907– 1992م**، قسم التراجم، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م، ص 365، 366.

4 غانم بودن، المرجع السابق، ص 13.

5 عبد القادر جغلول، **تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سيسيولوجية**، ترجمة فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، 1983م، ص 113، 114.

وقد حاول بن رحال ادخال بعض الإصلاحات على المنظومة التربوية وتقديمها إلى النخبة، فشكل لجنة التحقيق الخاصة بالأعيان في سنة 1892م من اجل النظر في إعادة تنظيم التعليم العالي في الجزائر، والتي قامت برحلة اصلاحية في الجزائر، إلا ان هذه الاصلاحات لم تعكس طموحاته[1].

لم يغفل بن رحال الجانب التعليمي بل كان من أولوياته، كما كان يرى ان التعليم عماد النهوض بالأمة، اضافة الى تعليم المرأة، لما لها من دور في المجتمع، فقد كان بن رحال رجل علم واصلاح فقيه في السياسة التعليمية الفرنسية وهدفها، ولا بد من تحديها بالتعليم العربي للمجتمع الجزائري من خلال منظومة مدروسة,

6 – دوره النهضوي:

كان بن رحال يدعوا إلى ضرورة التفتح على الحضارة الغربية، والاخذ من معارفها وفنونها المفيدة وتخدم البلاد والعباد، دون المساس بأصول دينه الاسلامي، وهذا ما جاء في تدخله اثناء مؤتمر المستشرقين عام 1897م مدافعا على مبادئ الحضارة الاسلامية وموجها نقدا لاذعا للظلامية والشوائب التي لحقت الاسلام الصحيح فردد قائلا: "صحيح انه لا يجب أن تقبل كل ما تمنحه لنا الحضارة بعيون مغمضة ... ولكن يمكننا بالمقابل أن نستعير عددا كبيرا من منتجاتها دون خطر، بل بفائدة وعلى حسابنا الخاص، وتستطيع أن تتبنى كل ميدان العلوم البحتة، وجزء هاما من التنظيم الداخلي والسياسي، ونظام الأشغال العمومية والتعليم، وكل ما يتعلق بالتجارة والزراعة، والصناعة بدون تعديلات كبيرة، فلا شيء في العقيدة بل بالعكس انه يحثه ويفرضه"[2].

كما حاول بن رحال تأسيس جامعة اسلامية في الجزائر من خلال تقديم عريضة الى مجلس الشيوخ الفرنسي، مؤكدا ضرورة وجودها لمواجهة التدهور والتأخر الذي تراجع اليه وضع الاسلام في الجزائر نتيجة القمع الفرنسي[3].

فكان بن رحال سباقا كغيره من المصلحين في المساهمة بالنشاطات الثقافية كإنشاء النوادي والجمعيات الثقافية مثل "نادي الشباب الجزائري"، أيضا "نادي الاتحاد"، "جمعية الهلال"، "الجمعية التوفيقية"، وبالجزائر العاصمة "كالجمعية الرشيدية" حيث ألقى بها محاضرة قيمة بعنوان "التوفيق بين الإسلام والتقدم"، ومن خلال المحاضرات التي تلقى في هذه الجمعيات نعرف ملامح تبلور النهضة الجزائرية[4].

أراد بن رحال النهوض بالمجتمع الجزائري، من خلال القاء محاضرات اصلاحية وتعريفية، وان الاسلام دين حضارة ورقي وتقدم، وأن الاسلام يتوافق مع التطور ولا يمنع التواصل والأخذ من الغرب في حدود العلم والمعرفة ولا يتعارض مع أصول الدين والعقيدة الاسلامية، وكان بن رحال رجل اصلاحي نشط وحيوي ، فقد أسس العديد من الجمعيات التي تخدم افكاره ومجتمعه.

---

1 عبد المجيد بن عدة، المثقف الثائر ...، المرجع السابق، ص 160.

2 ميدون عز الدين المرجع السابق، ص 255.

3 عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي ...، المرجع السابق، ص 58.

4 أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية1900–1930م**، 3ج، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط4، 1992م، ج2، ص 137 – 140.

7 – اسهاماته الفكرية:

كان لـ: بن رحال اسهامات هامة في المجال الثقافي منها: دراسة حول تطبيق التعليم العمومي في البلاد العربية سنة 1887م، ملاحظات حول تعليم الأهالي سنة 1886م، "تاريخ السودان في القرن السادس عشر"، قدم محاضرة أمام المستشرقين بباريس بعنوان "مستقبل الإسلام" سنة 1897م[1].

كما كتب بن رحال في الصحافة من خلال جرائد: الحق، الأقدام، التقدم وكذلك الصحافة الفرنسية مثل l'écho d'Alger و l'écho d'Oran، ونشط العديد من المحاضرات في النوادي والجمعيات الثقافية[2]، خاصة جمعية الراشيدية، نادي تلمسان الإسلامي، ولقد ظل بن رجال الشخصية الجزائرية الكبيرة قبل ظهور الأمير خالد[3].

أن الأعمال والنشاطات التي قام بها بن رحال، تجعله شخصية تفرض نفسها على الادارو الفرنسية وعلى المجتمع الجزائري، وأنه صادق في دوافعه وأساليبه، وأنه لم يدخر جهدا لخدمة وطنه.

8 – أقوال حول شخصية امحمد بن رحال:

وصفه "مصالي الحاج" بانه من العائلات الكبيرة والمشهورة في الجزائر والمغرب، له ثقافة عربية وفرنسية واسعة، وقد كانت له هيبة واناقة القائد العربي الأصيل، وكان يعترف له في كل الاوساط بأنه عالم ووطني كبير[4].

صنفه "مالك بن نبي" من الرجال الأوائل الذين يحملون الفكر الوطني في غرب الجزائر[5].

قال عنه "الشيخ البشير الابراهيمي" الذي شاهدته سنة 1921م، بأنه ذو ثقافة عالية يتمتع بالعلم والدين، بهي الطلعة نير الشيبة، تظهر تقاليد وعادات الشخصية العربية الجزائرية في حياته، وكان خطيبا بارعا باللغتين العربية والفرنسية، يجهر بالحق وذو رأي حكيم[6].

كما وصفه أيضا في شدة حبه وتمسكه بدينه: "وهو لين هش يجمع الصفات التي وردت في المؤمن ما لم يصل الأمر إلى الدين، فإذا مس الدين استحال ذلك الهدوء إلى غضبة لا يقوم لها شيء"[7].

أن علم وثقافة وصدق بن رحال، جعل ابرز شخصيات الجزائر من علماء وسياسيين ومفكرين يتكلمون عنه.

---

1 عبد المجيد بن عدة، المثقف الثائر ...، المرجع السابق، ص 165، 166.

2 غانم بودن، المرجع السابق، ص 11.

3 عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص 124.

4 مصالي الحاج، **مذكرات 1898–1938م**، ترجمة محمد المعراجي، الجزائر 2007م، ص 104.

5 مالك بن نبي، **مذكرات شاهد على القرن**، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1984م، ص 27.

6 عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 209.

7 نفسه، ص 151.

خاتمة:

وهكذا نجد ان محمد بن رحال قد أرسى مع مطلع القرن 20م قواعد الفكر السياسي الوطني النهضوي بالنسبة للجزائر المعاصرة، وتابعت مسيرته فئة نخبوية وطنية اخرى لعبت دورها في مواصلة النضال. كما كان بن رحال يرى ان الاسلام لا يمنع الاستفادة والتفتح على التقدم الذي بلغه العالم الخارجي، حتى ولو كانت فرنسا الاستعمارية، ويقوم بتشجيع كل نشاط وطني يهدف إلى النهوض بالبلاد والعباد.